

مشاهير العراق

في

القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر

Les hommes célèbres de la Mésopotamie.

كان القرن الثالث عشر ثم هذا القرن الذي نحن فيه من احفل القرون التي مرت على العراق بعد سقوط الدولة العباسية بنوابغ الادباء ، واكابر العلماء ، وامائل النبلاء ؛ وقد مضى ربح من الزمن ولم ار من غني بتأليف كتاب يتكفل بشرح سيرهم ويوفيههم حقهم على اختلاف صنوهم ومشاربهم — نعملي الكاف باجتلاء عرائس المأثور من المنظوم والمنثور. وسير العظماء والمشاهير، على تأليف كتاب جامع مانع يضم بين دفتيه تراجم من نبغ في هذين القرنين في العراق من مشاهير العلماء ، ومجيدي الشعراء ، واخبار الاعيان والامراء ، وعظماء التجار والاعنياء ، ومبرزي القراء والمغنين والظرفاء ... الخ وظلت زمنا تسقط اخبارهم من مختلف المصادر ، وأسأل عنهم من لقيت من الشيوخ الثقلاء حتى توفر لدي منها « رقائق تحسد رقبتها انفاس النسيم . وقلائد تروع حالية العذارى فتلس جانب المقد التنظيم » .

وقد احب حضرة الاستاذ الكرمل ان اشير في كل جزء من « لغة العرب » نموذجاً من ذلك يكون تحفة لقرائها ، ومرجماً للباحثين من تاريخ العراق .
وهنا اذا تحقق بقيته :

نموذج من تراجم الظرفاء .

الملا طعمة بن عبد الوهاب

— ١ —

Mulla Tūmah ibn Abd-al-Wahhāb.

كن في بغداد من نوادر الاعصار يذكر ك اذا سمعت اخباره ابا نواس في نواجره وغرائب .

وهو ربيب الشيخ محمد سعيد الطمبجلي مفتي بغداد وجد صبياني عند

باب جامع الحيدرية ضالاً فبألمه عن اسمه فقال : « طعمته » وعن أبيه فقال : « عبدالوهاب » فأخذته الى داره وعني بتربيته وتهذيبه ووكّل به من علمه القرآن الكريم فحفظه حفظاً متقناً ، وتعلم الخط فعبوداً ، ودرس اللغة العربية وشذا الادب ، واتقن صناعة التجليد ، وخلق ضرباً من الغناء والضرب على الكمنجة حتى أصبح في فنونه اعجوبة الدهر .

وكان مفرط الذكاء مجيداً في تقليد الحركات والحكايات والاصوات ، منقطع النظر في السباحة : يتصرف فيها تصرفاً عجيباً ويأتي فيها ضرباً لا يكاد يقدر عليها انسان فكان تارة يعموم على سطح الماء منتصباً حتى كأنه جالس على كرسي او فراش وثير ويضع على فخذه نار حية يدخن بها ذاهباً آتياً يمينا وشمالاً وتارة يقطع دجلة منكساً رأسه لا يبين منه سوى عجزه خارجاً الى غير ذلك مما يفتن الالباب من عجائب الالاب .

ومن نوادره قصة مشهورة يذكرها الشيوخ فيما يذكرون في مجالسهم من النوادر والغرائب . وذلك انه قبل ان يبقل عذاره ويطر شاربه صنع من الصوف لمبة وشارباً ووضعهما في موضعهما من وجهه ولبس عملة هندية كانها العش ، وهما لم من حمل امامه القانونس (المصباح) وقت المشاء في الصيف فاستأذن على مريته المفتي وكان مجلسه غاصاً باصحابه الفضلاء والاعيان قائلاً : انتم من حكماء الهند واطباؤها فأذن له فلما دخل نهض المفتي واستقبله وجلس به الى الصدر ورحب به وقد خفي عليه امره فاخذ طعمته يتكلم بلهجة هندي تعلم العربية واظهر ان له اليد الطولى في الطب والحكمة . وكان في المفتي وفي كثير من جلسائه امراض لا تخفى عليه لكثرة خدمته لهم ووقوفه على خافيتهم وباديتهم ، فصار كل واحد منهم يتقدم اليه فيجس نبضه ويفحصه فحضر الطبيب الحاذق فتخبره بما فيه ويصف له ما يناسبه من العقاقير حتى يبرهم واخذتهم الدهشة من حذقه ومعرفته فلما استأذن للوداع شيعه المفتي وجماعته معجبين به راغبين اليه في الاجتماع به كثيراً حتى اذا بلغ السلم انجدوا مسرعاً كالبرق فضحك الخدام ضحكاً غالياً سمعه المفتي واصحابه في السطح فسألوا عن السبب فأخبروهم بالامر فاستغفروا في الضحك واعجبوا بشكته .

وقد بدل اسمه اخيرا باسم « ناجح » فقل فيه الاديب محمد فهمي العمري
على سبيل المازحة :

هشت يا «ناجح» في هذا القلب	اسما سما جميع اسماء العرب
يا لك من اسم اذا سمعته	يهزني من حسن لفظها الطرب
لازلت يا «ناجح» تسمو في الوري	باسمك هذا رتبا فوق رتب
تفساؤلا بالخير في نجاحكم	به دعاك الناس يا ابا العجب
لم تر عيني كاتباً بين الوري	كناجح ان خط يوما او كتب
وان تقني اسكت ابن معبد	واخيل الجبر ابن هاني ان خطب
اجارك الله من اسم قد غدا	في قبضه كان داء الجرب
لا بارك الله بطعمة بلى	بارك عز شأنه في ذا القلب

وجن طعمة في آخر عمره وتوفي سنة ١٣١٥ هـ في بيت آل جابر افسسي
في الحلة ، وقد بلغني ان لديهم مجموعة من شعره ولم يصلني منه الا شيء قليل
اوردته هنا :

قال وقد سرقوا حذاءه وتركوا له عوضا عنه حذاء طويلا يفضل عن قدمه:

قطع الله يميني	سرفت مني خذائي
عوضتني بحذاء	نصفه يمشي ورائي

ويروى « عوضتي فلك جسر الخ » وقال يهجو بيتا من بيوتات

بغداد :

بسوء الفعل يا أنباء	تركتم كل قلب فيه علم
فما فيكم فتى يرعى ذماما	ولا حر يرى حق الاخلا
تردبتم ثياب اللؤم طبعاً	وصرتم في البرايا شر ملة
فما شهد الزمان لكم بفضل	ولا ذكرت لكم في الخير خصلة
اذا طرق الضيوف لكم فناء	طلبتم من نساء الحي بوله
لتطفوا نار موقدكم مبرما	مخافة ان يحوم الضيف حوله [١]

[١] هذا للمنى مأخوذ من قول الشاعر :

قوم اذا استنبح الاضياف كلهم
قالوا لا اهم بولي على النار

متى ترحم [٢] قلوبكم فقيرا	متى تسمع [٢] اكفكم بصله
متى جدتم على عاف بشيء	يساوي قدره في الناس نملة
فمن يرجو شرابا من سراب	كمن يرجو ندى من آل ...
فقبض حيككم من حي قوم	متى ما حرك النباح ذيله
لكم في السؤ اخبار تجلت	كمن الشمس لم تحتج ادله [٣]
جراحات السنان لكم طباع	لها لسع اباد الجسم كله
فصور شخصهم قبرا بارض	بها الاموات اصبحت مضمحلة
ولا تأسف على قوم لثام	تبين لوهم عند الاجل
ولا تنقظ من الاردا ودعه	ودع في ستين جزله

وقال يمدح السيد عارف حكمة ابن العلامة السيد عبدالله الالوسي يوم كان «مدير المال» في السماوة ، وقد وجدته بخط شيخنا العالم الجليل السيد علي علاء الدين الالوسي عليه رحمة الله :

زان السماوة عارف بوجوده	فحكمت به روضا زها بوروده
او ما ترى ارجاءها بأرجيه	طابت وازهر روضها بوجوده
بوفوده انعاؤها قد اشرقت	قد اشرقت انعاؤها بوفوده
شهم سما الاقران فضلا ياله	فضل يحار العقل في تقليده
ما خاب من واقف يطلب نيله	كم معتم احياء وابل جوده
ورث المكرم كبرا عن كابر	والفضل عن آباءه وجوده
لما مضى اسلافه خلق النسي	فسعى وايم الله في تجديده
وكذا الوفا لما وهت اركنه	اضحى شديد العزم في تشييده
اكرم به من ارضي ذابسه	بذل النسي لعدوه وودوده
لازال في فلك السعادة كوكب	يتدي السنا لقربه وسيمده
	محمد بهجة الاثري



[٢] كذا بالخبر

[٣] قال احتاج اليه لا احتياجه